

قسم اللغة والأدب العربي. كلية الآداب واللغات. جامعة محمد بوضياف - المسيلة.

مقياس: النص الأدبي المعاصر. السداسي الثاني.

السنة الثانية ليسانس. دراسات أدبية. المجموعة الأولى.

المحاضرة السابعة: قصيدة النثر.

محاوّر المحاضرة:

1- قصيدة النثر (المفهوم وإرهاصات التأسيس).

أ- مفهوم قصيدة النثر.

ب- مرحلة التأسيس للنموذج الجديد.

2- عوامل ظهور قصيدة النثر في الساحة الشعرية العربية.

3- مقومات قصيدة النثر.

4- مصطلح قصيدة النثر بين القبول والرفض.

5- خصائص قصيدة النثر عند أدونيس.

لقد تطورت القصيدة العربية المعاصرة بشكل كبير حتى أنها لم تعد بالشكل الذي عرفت به من قبل، بإتباع النسق الخليبي العمودي والذي كان من المقدمات، ولا يمكن تجاوزه، وقد شهدت القصيدة العربية المعاصرة ولادة عسيرة أخرى، تجاوزت حتى قصيدة التفعيلة (الحرّة) التي نادى بها الشعاعان العراقيان نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، فكانت تلك نقلة نوعية جعلت الشعراء يتجاوزون النموذج الشعري الذي عرف في نهاية الأربعينيات وبدايات الخمسينيات من القرن العشرين في ظرف وجيز ويؤسسون لنسق شعري أكثر حداثة في ظل التأثير والتأثر بين الآداب العربية والغربية، وكذا مختلف الأزمات العربية التي شهدتها المنطقة العربية من انكسارات وهزائم متتالية، خاصة بعد نكبة حزيران 1967، وغيرها من المآسي. فكان لا بد من وجود نموذج شعري حدائثي يكون المتنفس الجديد الذي يفرج عن هموم الأمة العربية ويؤسس لمنطلقات شعرية تتجاوز مع الراهن، وتكون صدى حقيقيا لما تعانیه الأمة العربية من هموم متتالية، فكانت "قصيدة النثر" هي المتنفس والخلص.

1- قصيدة النثر (المفهوم وإرهاصات التأسيس)

لقد جاءت بعض المحاولات الشعرية العربية في نهايات القرن التاسع عشر تحت مسميات عديدة منها (الشعر المنثور) وذلك بدءاً من كتابات نقولا عوض فياض عام 1891 (نهاية القرن الثامن عشر)، وقد أعقبها محاولات كثيرة من بعض شعراء العصر الحديث، ومنهم خليل مطران وجبران خليل جبران وأمين الريحاني، وذلك في الحقبة الأولى من القرن العشرين، بل إن الأمر قد وصل ذروته حينما استهوى النموذج الجديد أمير الشعراء أحمد شوقي، حينما ضمن كتابه "أسواق الذهب" ثلاثة نصوص تحت مسمى الشعر المنثور، كما أعقبها حركات أخرى نشيطة تنامت مع حركات الإبداع والحدثة الغربية خاصة بعد التأثر بالنماذج الشعرية الغربية خاصة (شارل بودليير ومالارمييه ورامبو)، وغيرهم من شعراء الحدثة الذين تركوا بصماتهم الشعرية على كل من جورجي زيدان وتوفيق إلياس وميخائيل نعيمة ومي زيادة وأحمد زكي أبو شادي و....

أ- مفهوم قصيدة النثر:

تنوعت التعاريف التي تناولت قصيدة النثر العربية من جميع النواحي، فهناك من يعرفها بأنها نثر موسيقي خيالي رامز، يختلف النقاد في منحه لقب (الشعر) أو منح نصه لقب (القصيدة)، ويعرفها الناقد المغربي (رشيد يحيوي) بأنها مصطلح مركب من كلمين (قصيدة/نثر) المرتبطين بالإضافة، وقد ظهر المصطلح في بداية الستينيات ترجمة لمقابله الفرنسي (poème en prose).

تعتمد قصيدة النثر الكتابة النثرية تماماً كما في النثر، بينما تقوم قصيدة الشعر الحر على مبدأ الوزن والنقيلة للبحر الصافي، فالأمر أصبح واضحاً بينهما خاصة بعد اعتماد كلا النموذجين وسيلة لنقل تجربته الشعرية أقام عليها أدبية نصه وجمالياته الشعرية، وعليه كان نموذج قصيدة النثر العربية تجربة مغايرة، وهو الأمر الذي دفع بالكثير من رواد هذا الفن الجديد إلى ركوب موجة التجديد التي سعت إليها مجلة شعر، خاصة دعوات أنسي الحاج ومحمد الماغوط، وغيرهم من رموز هذه الجماعة الأدبية، التي صنعت الفرق في تقديم النص الشعري العربي، وإخراجه من دائرة التقليد والانغلاق على نفسه شعرياً، وبالتالي فما وصل إليه النص الشعري العربي المعاصر سمح للعديد من المبدعين من السعي إلى بعث النص الأدبي الشعري تدريجياً نحو التحرر من القوالب التقليدية الجاهزة التي فرضها النقاد، والتجربة الشعرية التراثية بفرض إتباعها وعدم الخروج عنها.

ب- مرحلة التأسيس للنموذج الجديد:

بدأت مرحلة التأسيس الفعلي لقصيدة النثر العربية فنيا خاصة بعد تأسيس مجلة (شعر اللبنانية) والتي احتضنت جماعة قصيدة النثر وقدمت لهم الدعم النفسي والغطاء الفكري والثقافي الذي شمل العديد من الشعراء الذين انضموا تحت لوائها وأصبحت لهم الشرعية الفكرية في نقل أصواتهم الشعرية، وقصائدهم إلى جميع

المتلقين دون خوف أو تهرب من المعارضين لهذا المولود الجديد الذي اعتبر هجيناً لم يكتمل نموه بعد حتى ينظر إليه بعين القبول والاهتمام.

كانت البداية الفعلية للنص الشعري النثري (قصيدة النثر) سنة 1957 على يد أنسي الحاج، ثم أعقبه أدونيس 1958 بنشر نموذج من قصيدة النثر، وتلاههما في ذلك شوقي أبو شقرا، ويوسف الخال، وإبراهيم شكر الله من مصر. ولعل المرجع الأساس الذي كانت الجماعة تدافع به عن نفسها هو كتاب سوزان برنار (قصيدة النثر من بودلير إلى أيامنا)، والذي كان المرجع الأساس لرؤى جماعة شعر.

2- عوامل ظهور قصيدة النثر في الساحة الشعرية العربية:

اختصرها أدونيس في قوله: هناك عوامل كثيرة مهدت من الناحية الشكلية لقصيدة النثر في الشعر العربي منها:

- 1- التحرر من الوزن والقافية ونظام التفعيلة الخليلي، فهذا التحرر جعل البيت مرناً وقربه إلى النثر.
 - 2- الترجمات الشعرية التي كانت تنتقل فيها القصائد الأجنبية نثراً.
 - 3- احتضان مجلة (شعر) للتجارب الشعرية الجديدة، خاصة تجارب رواد قصيدة النثر أمثال: أنسي الحاج، محمد الماغوط، وشوقي أبي شقرا، وتوفيق صايغ.
 - 4- محاولة تلك الدراسات تثبيت مفاهيم جديدة، هي في إطارها العام مقومات قصيدة النثر.
 - 5- ميلاد هذا النوع الشعري الجديد في الأدب العربي لم يكن وليد الصدفة أو حدثاً مفاجئاً، إنه امتداد لمحاولات تمرد سابقة ورغبة عارمة في التجديد كشفت عنها بدايات القرن العشرين، من خلال النمط الشعري الذي تبناه آنذاك جبران خليل جبران وأمين الريحاني وآخرون، أطلق عليه اسم الشعر المنثور أو النثر الشعري، فهذه الكتابات لم تكن تسمى بقصيدة النثر، ومن ثم فتسميتها لم تر النور بعد هؤلاء.
- لقد شكل لبنان ساحة مهمة لقصيدة النثر العربية، إذ يمثل المنشأ الحقيقي لها، من خلال مجلة (شعر) التي كانت منبرها الرئيس، حيث ولدت قصيدة النثر في الحركة الأدبية اللبنانية على أيدي عدة شعراء منهم (أدونيس، يوسف الخال، أنسي الحاج، شوقي أبي شقرا)، ويمكن القول أن أول من بادر في كتابة قصيدة النثر هو (علي أحمد سعيد "أدونيس") وذلك عام 1958، عندما ترجم قصيدة سان جون بيرس فقد كشفت له هذه الترجمة عن طاقات وأساليب للتعبير لا يستطيع الوزن أن يوفرها، وكان من تأثير هذه الترجمة أنه كتب أولى أعماله في قصيدة النثر (وحدة اليأس)، فمن خلال هذا القول يتبين أن أدونيس هو رائد قصيدة النثر في الشعر العربي.

لقد أطلق على هذا الشكل الجديد مجموعة من المصطلحات منها: الشعر المنثور، النثر الشعري، القصيدة المضادة، القصيدة غير العروضية، النثيرة. وتعدد التسميات والمصطلحات دليل على أن هذا النوع الشعري الجديد لم يحقق وجوده الإجمالي بعد، كما لم يثبت وجوده كنوع شعري جديد رغم كل محاولات التأسيس له.

كما أن لقصيدة النثر مقوماتها أو مميزاتها التي تميزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى حيث يؤكد أنسي الحاج عن شروطها فيقول: "لتكون قصيدة النثر قصيدة حقا لا قطعة نثرية فنية محملة بالشعر شروطا ثلاثة: الإيجاز، التوهج، المجانية".

3- مقومات قصيدة النثر:

1- أن الموسيقى الشعرية هي حركة داخلية متناغمة متحدة بالتجربة.

2- هدم الحد الفاصل بين الألفاظ الشعرية والألفاظ غير الشعرية.

3- التأكيد على الوحدة العضوية في القصيدة والتخلي عن التفكك البنائي القائم على الوحدة الشكلية.

4- مصطلح قصيدة النثر بين القبول والرفض:

نجد أنفسنا قبالة موقفين لا يلتقيان، يرى أحدهما في مصطلح قصيدة النثر جمعا غير مبرر بين نوعين متقابلين، بينما يذهب الموقف الثاني إلى جواز الجمع بينهما.

نجد مواقف متعددة عند خصوم قصيدة النثر في رفضهم لها، كون أغلب الرافضين لهذا النموذج الشعري الحدائي هم شعراء النفعيلة أو الشعر الحر وعلى رأسهم نازك الملائكة، فهم يأخذون على تلك الحركة افتقارها إلى الأطر النظرية التي تشكل إطارا مرجعيا لها، لأن ظهور الأجناس الأدبية وتشكلها دون إرهاصات نظرية يعد خروجاً وكسراً للأعراف الفكرية التي يقوم عليها كل جنس أدبي.

فالباحث عبد الرحمن محمد القعود يذهب إلى أن قصيدة النثر تنثر إشكاليات من خلال اسمها نفسه، إذ كيف يمكن الجمع بين متناقضين هما الشعر والنثر، كما اقترح مصطلحا بديلا هو (القصيدة الحرة)، لكنه فيما بعد أصبح يميل إلى مصطلح قصيدة النثر بعد إدراكه التناقض الكامن في هذه القصيدة، لأنه المصطلح المعبر عن طبيعة هذه القصيدة وهويتها، فهي تقوم على وحدة الأضداد (شعر ونثر، حرية وصرامة...).

5- خصائص قصيدة النثر عند ادونيس:

- قصيدة النثر ذات شكل قبل أي شيء.

- ذات وحدة مغلقة، هي دائرة أو شبه دائرة، لا خط مستقيم.
- هي مجموعة علائق تنتظم في شبكة كثيفة، ذات تقنية محددة وبناء تركيبى موحد، منتظم الأجزاء، متوازن، تهيمن عليه إرادة الوعي التي تراقب التجربة الشعرية وتقودها وتوجهها.
- إن قصيدة النثر تبلور، قبل أن تكون نثرا أي أنها وحدة عضوية، وكثافة، وتوتر، قبل أن تكون جملا أو كلمات.
- هي نوع متميز قائم بذاته، وهي شعر يستخدم النثر لغايات شعرية.
- لها تنظيم خاص وقوانين عضوية عميقة، وأخرى شكلية، شأنها شأن أي نوع فني آخر.
- رفض العروض لاعتباره قيذا على شعرية الشاعر وطاقته الإبداعية، واعتماد ركيزتين فقط (اللغة والخيال)، فاللغة هي الركيزة الأولى في زمن الحداثة، إذ نظر إليها الشعراء بوصفها إحدى مبتكراتهم، لا بوصفها ميراثا مقدسا.